الافلاج في المصادر العربية القديمة

عبد الله

يعتبر الهمداني من أوسع القدماء كتابة عن الافلاج ،فقد أفرد في كتابه « صفة جزيرة العرب » فصلا مطولا ، تحدث فيه عن مواضع القبائل القديمة في ذلك الاقليم (١) ، وقد اعتمد الهمداني في ذلك الفصل ، على رواية « أحمد بن الحسن العادي الفلجي » من أهل الافلاج .

وفي المرتبة الثانية بعد الهمداني ، يعتبر الحسن بن عبد الله الاصفهاني ، ممن توسعوا في ذكر عدد من المواضع القديمة ومساكن القبائل في ذلك الاقليم ، في كتابه « بلاد العرب» (٢) ومن مصادره التى ذكرها ، ماكان يرويه عن أبي الأزهر الجعدي .

اما ياقوت الحموي ، فقد أورد ما كتبه ، أبو زياد يزيد بن عبد الله العر الكلابي ، فيٍنوادره المفقودة، كما روى عن أبي عبيدة عامر بن المثنى ، وعن السكوني

أما الرحالة الفارسي ، ناصر خسرو ، فقد زار اقليم الافلاج سنة ٤٤٣ هجرية ، ووصف الحالة التى كان يعيشها هذا الأقليم في تلك الفترة . ويعتبر ما كتبه هذا الرحالة عن الافلاج ، طريفا وجديدا على الرغم من أنه لم يذكر شيئا عن القبائل ، ولا عن المواضع ، لكونه اعجميا ، ولبعده عن قلب الجزيرة العربية ، ولكنه تحدث عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية ، وعن التجارة ، والزراعة في ذلك الأقليم ، حديثا عابرا . وحقيقة ان الباحث يستغرب أن يقيم ناصر خسرو بالافلاج أربعة أشهر ، ولم يكتب سوى صفحتين مما كتبه عن رحلته تلك ، ويلاحظ أن وصفه لبلاد العرب بصفة عامة . كان يتسم بالايجاز ، كوصفه لليمامة ، بينما كان يسترسل في وصف بلاد فارس ، والبلدان القريبة منها كالبصرة (ص ١٤٥ ـ ١٦٠) .

وقد نشرت رحلة ناصر خسرو ، بعنوان (سفرنامه) في القاهرة عام ١٩٦٤ هجرية ، نقلها الى العربية الدكتور يحى الخشاب ، ثم أعيد نشرها في بيروت سنة ١٩٧٠ هـ .

تحديد اقليـــم الأفـلاج عند القــدماء :

ان أدق تحديد لهذا الأقليم عند القدماء ، هو ذلك الذي أورده الهمداني في صفة جزيرة العرب (٣) ، وهو على دقته يمكن أن يعتبر تحديدا للأفلاج في الوقت الحاضر:

من الشمال : واد يقال له شطاب بين اليمامة والفلج ، ومن أخذ على البياض ، وعلى البرق ورد غدير ماء يقال له الهزمه ثم الحيفانه .

من الغرب : أوديه جعده ، وأولها أكمه تصب على الفلج والغيل وفرعه الصدارة ، ثم يقطع غلغل ، والثجه والنضج في الطريق الى الخرج .

من الجنوب : الهدار ، هدار بني الحريش ، وأوديته ، فيأخذ المتوجه الى الجنوب : الفرعه ، ثم السليل .

من الشرق : أما من جهة الشرق ، فان صحراء البياض تتطاول الى الشرق كله ، ورمل الكديد ، ويبرين ، تليهما الدهنا

أهميـة الأفـلاج في المصـادر القـديمة :

كان اقليم الفلج ـ بحكم موقعه الجغرافي في وسط بلاد العرب ـ ممرا لطرق القوافل القديمة ، التي تجوب الجزيرة العربية ، من الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الجنوب فالغرب ، فاصبحت مركزا تجاريا تؤمه القوافل القادمة من اليمن ، وتبعا لذلك ازدهرت في هذا الأقليم عدة مدن كالهيصمية التي يقول عنها الهمداني (٤) « انها مدينة محصنة ، يركض على جدارها أربع من الخيل ، وجهد الغالي بالسهم أن ينال رأسها » .

ويتحدث الهمدانى بعد ذلك عن سوق الأفلاج موضحا أهميته بقوله « وسوق الفلج الذي تسوقه نزار واليمن »

أما وصف هذا السوق والوضع الذى كان عليه فيقول عنه : « وسوق الفلج عليها ابواب الحديد وسمك سورها ثلاثون ذراعا ومحيط به الخندق ، وهو منطق

بالقضاض والحجارة والصاروق (٥) قامة وبسطة فرقا أن يحصر أو يرسل العدو السيوح عليه »

وبعد ذلك يصف الهمداني وسط السوق ، وأن به مائتين وستين بئرا وأن ماءها « عذب فرات يشاكل ماء السماء ولا يفض » وهذا السوق الذي تسوقه قبائل اليمن فيه أربعمائة حانوت » (٦)

أما الأصفهاني في بلاد العرب (٧) فيصف سوق الفلج وصفا موجزا بقوله : « والسوق مدينة عظيمة » ٠٠ واذا كانت « الهيصمية » هي مدينة بني قشير العظيمة فان أكمه هى مدينة بني جعده ، وقد ذكر الاصفهاني أن بها منبرا وسوقا ٠٠

ويفهم من كلام ناصر خسرو الرحالة الفارسى الذي زار الأفلاج في القرن الخامس الهجري ، أن هذا الأقليم كان على شأن كبير بين بلدان قلب الجزيرة العربية ، فقد زار الافلاج وقد خربت وتقلص عمرانها الى ٢٤ مليون ذراع ، بعد أن كانت ناحية كبيرة ـ كما يصفها خسرو (٨) كما يفهم من كلام هذا الرحالة ، أن هذا الاقليم كان غنية بالنخيل ، والنخيل ترمز في حياة العربي الى الغنى والجاه ، وقد أشار خسرو الى أن جيشا من العرب مر بالفلج وطلب من أهلها خمسمائة من ، من التمر ، وأنهم لم يقبلوا بذلك الطلب ، مما جر عليهم حربا قتل فيها عشرة رجال منهم ، وقلعت ألف نخلة (٩) فاذا كان هذا الغزو أسفر عن قطع ألف نخلة ، فلا بد أن هناك آلاف النخيل التى عجز هذا الجيش عن قطعها ٠

طرق القوافل القديمة والتجارة :

الموقع الجغرافي لأقليم الأفلاج ، كان أحد الأسباب الرئيسية وراء انتعاش هذا الأقليم ، فهو يقع بين الدرجتين **٤٤و٤٥** طولا ، وبين الدرجتين **٢٠و٢١** عرضا ٠

ان سوق الفلج ـ كما يصفها الهمداني ـ هي في الحقيقة ، سوق تجارية ، على مستوى الجزيرة العربيه ، فقوافل اليمن تحمل الى هذه السوق الأديم ، ثم يحمل الى الحساء (١٠) ، وحينما تعود هذه القوافل لليمن ، فانها تحمل معها شيئا من بضائع سوق الفلج ، كذلك فان القوافل القادمة من الفلج الى جراء بالأحساء ، التى كانت من أشهر الأسواق والمراكز التجارية في بلاد العرب والشرق الأوسط ، منذ العهد اليوناني والروماني (١١) ، حين تعود الى الفلج ، فانها تحمل بضائع الأحساء ،

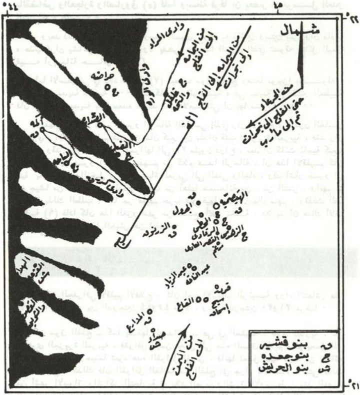
٤٤°
٤٥°
٢٢°
٢١°
شمال
وادي المراد
وادي الوردة
من اليمامة إلى الفلج
من اليمامة إلى الفلج إلى نجران
من الجعاد حتى الفلج إلى نجران ثم إلى مأرب
حراضة ه ح
ج خليل والبئة
الرمل
الشعراء
أكمه ح
الفلج
ه اليمامة
وادي كتيرع
الهيصمية ه
ه الجدول
ج الوطى
ج الزهوي
الرقادي
منهم القصر العادي
ه الزرنوق
رملة
عبد الشاقة
عبد الزبار
قرية سيح إسحاقة
القاع
ه الدوامع
صياد ح
من اليمن إلى الفلج
الجبال الشوعية
النوعو والعريب
ه بنو قشير
ج بنو جعده
ش بنو الحريش

اقليم الأفلاج (الفلج) قديماً

مواضع قبائل بني كعب بن عامر

إتجاه طرق القوافل القديمة التي تمر بإقليم الفلج

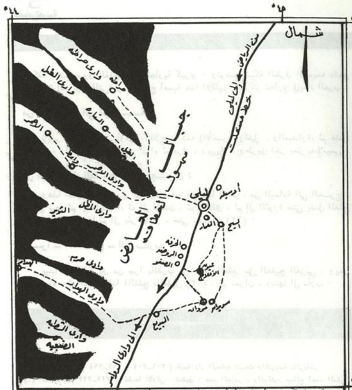
٤٤°
٤٥°
٢٢°
٢١°
شمال
من الرياض الى ليلى خط مسفلت
وادي حراضة
حراضة
وادي الغيل
الستارة
الاحمر
الغيل
واسط
وادي الوصب
جبال سمول
الحاضن
ليلى
أوسيلة
السيح
الستارة
وادي المحل
الثوير
الخرفة
الروضة
الصفو
عيون الأفلاج
وادي حرم
الهدار
وادي الهدار
سويدان
مروانه
البديع
الى وادي الدواسر
وادي الثعلة
الضبعة

مصطلحات	المسافات	كيلومتر		كيلومتر
◎ عاصمة	من ليلى الى الرياض	٢٥٠	من ليلى الى الهدار	١٠٠
○ قرية	وو وو الى وادي الدواسر	٢٤٠	وو وو الى الاحمر	٦٤ نحو
— خط مسفلت	وو وو الى البديع	٣٢	وو وو الى واسط	٥٤
---- خط بري	وو وو الى الصفو	١١ نحو	وو وو الى الغيل	٣٢
● عيون الأفلاج	وو وو الى الروضة والخرفة	١٠ نحو	وو وو الى الستارة	٦٢ نحو
■ جبال	وو وو الى السيح	١١ نحو	وو وو الى حراضة	٩٠
نحو تقريباً	وو وو الى عيون الأفلاج	١٥ نحو	وو وو الى اوسيلة	٩ نحو
			وو وو الى سويدان ومروانه	٢٨ نحو

اقليم الأفلاج حاضراً

وهكذا تصبح سوق الفلج سوقا تجارية كبرى · وتوضح شبكة الطرق القديمه داخل الجزيرة العربية، التي تمر بالأفلاج أهمية هذا الأقليم، كمركز تجاري في بلاد العرب :

من الفلج الى اليمامة :

ويمر هذا الطريق بأودية الأفلاج : أكمه (الأحمر) **والفيل** : والصدارة، ثم غلغل والثجة ، والنضج · ثم وادي المراء ثم برك ، وبريك ، وطريق آخر يمر بدلاميس ، ثم نسله ثم الخرج ·

من اليمامة ـ الفلج ـ الى نجران :

وهذا الطريق يذكره « ابن خرداذبه » على هذا النحو : من اليمامة الى الخرج ، ثم الى نبعه ثم الى المجازه ، ثم الى المعدن ، ثم الشفق ، ثم الى الثورة حتى يصل الفلج ومنها الى الصفا ثم الى بئر الآبار ، حتى نجران (١٢) ·

جرا ـ الفلج ـ الى مأرب :

يبدأ هذا الطريق من جرا بالقرب من ميناء العقير على الخليج العربي ، ويمر بالأحساء ، ثم الى اليمامة فالفلج فالعقيق (١٣) ، ثم نجران ، ومنها الى مأرب ·

المصادر

(١) الصفحات من (٢٩٤ـ٢٩٧ و ٣٠٤ـ٣٠٦) طبعة دار اليمامه للبحث والترجمة بالرياض
(٢) الصفحات (٢٢٢ـ٢٢٧) الطبعة الأولى ، تحقيق : حمد الجاسر ، والدكتور صالح أحمد العلي وفي العدد الأول من مجلة الدارة (ص ١٥٤ ـ ١٦٠) تحقيق للمواضع التى ذكرها الهمداني والأصفهاني ·
(٣) ص ١٤٩ ، طبعة ابن بليهد
(٤) نفس المصدر ص ٣٠٥ طبعة دار اليمامه ·
(٥) في طبعة ابن بليهد الشاروق (٦) المصدر السابق ص ٣٠٦ (٧) ص ٢٢٤
(٨) ناصر خسرو ، « سفرنامه » ص ١٣٩ : ترجمة يحى الخشاب ، طبعة بيروت ١٩٧٠
(٩) سفرنامه ، ص ١٤٠ (١٠) نفس المصدر ص ١٤١ (١١) تاريخ الأحساء ، لابن عبد القادر ص ٢٣ ، وقد ذكرها باسم (الترحاء)
(١٢) المسالك والممالك ، (ص ١٥٢ ـ ١٥٣) ·
(١٣) هو عقيق بني عقيل ، المعروف الآن بأسم وادي الدواسر ·